

## عادات وتقاليده منطقة الزيبان جولة في التراث اللامادي للمنطقة

### Customs and Traditions of the Ziban Region: An Exploration of the Region's Intangible Cultural Heritage

ط.د. / شابي أمينة

جامعة باتنة 1

البريد الإلكتروني: [aminachabbi12@gmail.com](mailto:aminachabbi12@gmail.com)

ط.د. / فارح رمزي

جامعة محمد خيضر بسكرة

البريد الإلكتروني: [fara12ram12@gmail.com](mailto:fara12ram12@gmail.com)

#### الملخص:

تعتبر العادات والتقاليد تراث الأمم وتجسد طريقة تسييرهم للأمور خاصة الجوانب الاجتماعية منها، وتعد منطقة الزيبان أحد المناطق التي لها تاريخ حافل ومهم في تاريخ الجزائر من خلال مشاركة المنطقة في تحرير الجزائر من الاستعمار، وعليه كان لابد لهذه المنطقة أن تحظى بأهمية بالغة، ولذا فمحور اهتمام هذه الدراسة هو التراث اللامادي للمنطقة مجسدين ذلك من خلال العادات والتقاليد.

**الكلمات المفتاحية:** التراث، العادات، التقاليد.

#### Abstract :

The customs and traditions are the legacy of the nations, embodies the method of depreciation for the method, especially the social aspects of them, so the Ziban region is one of the areas that have a long, important history in Algeria, through the region's participation in the liberation of Algeria from colonialism. The region must therefore be of paramount importance, the focus of this study is the region's immaterial heritage, embodied in customs and traditions.

**Keywords:** heritage, customs, traditions.

## مقدمة:

تعتبر منطقة الزيبان التي توجد في مدينة بسكرة محطة تاريخية بامتياز إذ احتضنت العديد من الانتفاضات والثورات الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي، انطلاقا من تاريخها الحافل والمهم في تاريخ الجزائر كان لزاما أن ندرسها بكل جوانبها، ولأن الجوانب التراثية المعنوية مهمة جدا فقد خصصنا هذه الورقة البحثية للبحث في عادات وتقاليد منطقة الزيبان، وهنا تبرز أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

- ✓ أهمية مثل هذه الدراسة من خلال موضوعها عن العادات والتقاليد.
- ✓ معرفة ابرز الدراسات التي تناولت نفس الموضوع.
- ✓ دراسة عادات وتقاليد المنطقة كأحد أوجه التراث اللامادي.

## أهداف الدراسة:

- أما أهداف هذه الدراسة فتتمثل في:
- ✓ العمل على دراسة الموضوع من خلال تحليله نظريا.
- ✓ تقديم دراسة حول منطقة الزيبان من خلال عادات وتقاليد المنطقة.

## الإشكال:

ما هي أهم العادات والتقاليد لمنطقة الزيبان؟

## المنهج المتبع:

في هذه الدراسة تم اتباع المنهج الوصفي إذ أنه يناسب هذه الدراسة التي تحاكي حال عادات وتقاليد منطقة الزيبان في ولاية بسكرة.

## 1\_ مفاهيم الدراسة: التراث، العادات، التقاليد، وهي كالاتي:

### 1\_1\_ التراث:

التراث الشعبي = علم الفلكلور:

من المعروف أن مصطلح folklore ابتداء انجليزي قام بصياغته عالم الآثار الانجليزي جون تومز W.G.TOMS في عام 1864م ليدل على دراسات العادات الماثورة والمعتقدات والآثار الشعبية القديمة، ويتألف هذا المصطلح من مقطعين folk بمعنى الناس و Lore بمعنى حكمة أو معرفة فالكلمة تعني حرفيا معارف الناس أو حكمة الشعب.

وعلم الفولكلور هو العلم الذي يستوعب مجموع العادات والمعتقدات الماثورة لدى شعب من الشعوب مادام مرد هذه العادات والمعتقدات إلى السلوك الجمعي لعامة الناس.

وهو العلم الذي يضم أيضا كل المعارف الشعبية التي تنتقل إلى الأجيال عبر التواتر الشفاهي وكل الصناعات أو المشغولات التقليدية<sup>1</sup> بالإضافة إلى التقنيات التي يتم تعلمها وإتقانها عن طريق التقليد أو محاكاة النموذج.

والتراث هو شكل ثقافي متميز يعكس الخصائص البشرية عميقة الجذور ويتناقل من جيل إلى آخر ويصمد عبر فترة زمنية متفاوتة نوعيا ومتميزة بيئيا، تظهر عليه التغيرات الثقافية الداخلية والعادية ولكنه يحتفظ دائما بوحدة سياسية مستمرة ويقسم التراث إلى ثلاث أقسام:

**تراث مادي:** كالمباني الأثرية وما تكشفه الحفريات وتتضمنه المتاحف وكلها تمثل صورها بشكل أو بآخر ويشمل:

**الآثار الثابتة:** مثل المنحوتات والمواد التاريخية والعمائر الدينية والمعالم المعمارية والحصون العسكرية والمنشآت القديمة والمدافن ونحوها.

**الآثار المنقولة:** مثل المنحوتات والمواد المنقوشة والمخطوطات والأدوات الفخارية والخزفية والزجاجية والمنسوجات، والأسلحة وأدوات الزينة، وكذا المنتجات الحرفية الأصلية التي توقف إنتاجها بطرق التقليدية التي توارثها الناس لكونها شواهد لتراث مميز يعكس الهوية المحلية وحل محله إنتاج آلي أو استهلاكي، محاكية له في الصنعة وتخالفه في الجودة والقيمة الفنية والجهد البشري.

**تراث فكري:** قوامه ما قدمه السابقون من علماء وكتاب ومفكرين ومسؤولين سياسيين كانوا شهدوا على عصورهم ومبدعين من خلالها ويشمل ثلاثة أصناف:

ما ورث عن السلف من العلوم والمعارف الدينية.

العلوم والمعارف الطبيعية كعلوم الأوائل والتراث العلمي الإسلامي في مجالات العلوم الطبيعية المختلفة.

الفنون الأدبية والفنون الزخرفية والخطية ونحوها.

**تراث اجتماعي:** قوامه قواعد السلوك والعادات المجتمعية والأمثال والتقاليد ومنظومة القيم الاجتماعية، وهي تشكل بناء خلقيا متماسكا طويل الدوام، كبير الضغط والتأثير على الأفراد وإن يكون مقيما وراء الشعور والوعي في غالب الأحيان، يطلق هذا المصطلح للدالة على مجموع العادات والآراء والتقاليد وأنماط المعيشة بالإضافة إلى المؤسسات والمنظمات والمؤسسات التي تؤلف أساس الحضارة والثقافة لدى جماعة من الناس أو مجتمع من المجتمعات تتوارثها الأجيال ويتناقلها عن بعضها البعض وقد يعتريها شئ من التحوير والتعديل مثلما تخضع للتطوير وتخضع للانقضاء بفضل التفاعل والاحتكاك ويشمل.

<sup>1</sup>- فاروق احمد مصطفى؛ مرفت العشماوي عثمان، 2008م، ص. 31.

الموروثات الشفهية كالحكايات والأمثال واللهجات، العادات والأزياء وغيرها من التقاليد الاجتماعية، الفنون الشعبية كالغناء والموسيقى والرقص والأهازيج<sup>2</sup> ونحو ذلك.

### 1\_2\_ العادات:

تعرف العادات بأنها: "هي جمع لكلمة عادة، وهي من الفعل تعود تعويدا، ومعنى هذه الكلمة ومفهومها الدارج هو تلك الأشياء التي درج الناس على عملها أو القيام بها أو الاتصاف بها، وتكرر عملها حتى أصبح شيئا مأنوسا، وهي نمط من السلوك أو التصرف يعتاد حتى يفعل تكررا، ولا يجد المرء غرابة في هذه الأشياء لرؤيته لها مرات متعددة في مجتمعه وفي البيئة التي يعيش فيها"<sup>3</sup>.

"ممارسة، وهي ظاهرة أساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية والإنسانية، وهي حقيقة أصيلة من حقائق الوجود الاجتماعي تتعرض لعملية تغير دائم، بتجدد الحياة الاجتماعية واستمرارها، تؤدي في كل طور من أطوار المجتمع وظيفة وتشبع حاجات ملحة"<sup>4</sup>.

التعريف الإجرائي: هي جملة من الأفعال التي يكتسبها الإنسان عن طريق عملية التكرار.

### 1\_3\_ التقاليد:

هي كل ما يرتبط بالماضي وتداولت عليه الأيام وأصبح قديما، وهي محاكاة للأولين وموروث عنهم فهي: عادات مقتبسة رأسيا أي من الماضي إلى الحاضر، ثم من الحاضر إلى المستقبل فهي تنتقل وتورث من جيل إلى جيل ومن السلف إلى الخلف على مر الزمان"<sup>5</sup>.  
ومنه فالتقاليد هي كل ما إنتقل من الماضي إلى الحاضر من جيل السلف إلى الخلف على مر الزمان والتاريخ.

### 1\_4\_ التراث اللامادي:

يُقصد بعبارة "التراث الثقافي غير المادي" الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية- التي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءا من تراثهم الثقافي. وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل، تبذعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة والتاريخ، وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها، ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية. ولا يؤخذ في الحسبان لأغراض هذه الاتفاقية سوى التراث الثقافي غير المادي الذي يتفق مع

<sup>2</sup>- عدنان ابو مصلح، 2006م، ص ص. 129، 130.

<sup>3</sup>- سعيدة حمزاوي، 2010م، ص. 321.

<sup>4</sup>- نفسه، ص. 322.

<sup>5</sup>- محمد الجوهري، 1988م، ص. 68.

الصكوك الدولية القائمة المتعلقة بحقوق الإنسان، ومع مقتضيات الاحترام المتبادل بين الجماعات والمجموعات والأفراد والتنمية المستدامة<sup>6</sup>.  
ويقصد بالتراث اللامادي كل التراث ذو الطابع المعنوي والذي يجسده جماعات في مجتمع ما ويحدد حياتهم الاجتماعية.

## 2\_ منطقة الزيبان:

"لمنطقة بسكرة أهمية تاريخية وحضارية إذ تزخر كغيرها من مناطق الجزائر بمعالم تاريخية شاهدة إلى اليوم عن تعاقب حضارات العصر الحجري القديم والحديث من رؤوس السهام الصحراوية، وقبور بازيناس، وكان لبسكرة أهمية عسكرية في العصر الروماني إذ قام فيها خط ليمس ذا القلاع العسكرية لمراقبة البدو والجيوتول وأي تحركات معادية للرومان على طول الخط بين الشمال والجنوب الصحراوي<sup>7</sup>.  
كما عرفت المنطقة أحداثا تاريخية هامة من خلال الفتح الإسلامي وخلال هذه الفترة أُصطلح على إمتداد جغرافي في الجزائر بمصطلح الزاب أو الزيبان ...، لقد تناولت العديد من المصادر والمراجع التاريخية مصطلح الزاب لكنها تباينت في ضبطه وتحديد إطاره الجغرافي، فالبكري يعتبر الزاب الزيبان نهيرات أسفل الفرات وما حولها من زوابي.  
أما يوقوت الحموي يربط مصطلح الزاب بأحد ملوك الفرس القدامى الذي حفر أنهار العراق وسميت بالزوابي.

وفي لسان العرب يعتبر الزابان نهران بناحية الفرات وتسمى ما حولها من الأنهار بالزوابي، وقد حذفت الياء فقالوا الزاب<sup>8</sup>.

" في دائرة المعارف الإسلامية فإن إقليم الزاب بمنطقة بسكرة وما حولها يمتد بحوالي مئة وخمسين كم من الشرق إلى الغرب وما بين الأربعين إلى الخمسين كم من الشمال إلى الجنوب وإذا جئنا إلى ابن عذاري المراكسي فالزاب من بلاد الجريد إلى تيرت هو الزاب الأعلى ومن طرابلس إلى بلاد الجريد هو الزاب الأسفل<sup>9</sup>.

## 3\_ خصائص منطقة الزيبان: <sup>10</sup>

"تشكل منطقة الزاب سهلا منبسطة شيئا فشيئا في الجنوب حتى يندرج في الصحراء، وأسباب الاتصال بينه وبين منخفض الحضنة وهضاب قسنطينة ميسرة بفضل الفتوحات الطبيعية الموجودة بين تلال الزاب

<sup>6</sup>- بورايو، عبد الحميد، 2016م، ص ص. 03-04.

<sup>7</sup>- مياشي، ابراهيم، 2001م، ص. 36.

<sup>8</sup>- ابن منظور، دت، ص. 124.

<sup>9</sup>- كحول، عباس، 2013م، ص. 17.

<sup>10</sup>- ذياب، هشام، 2014م، ص. 18.

وتلال الأوراس (فج القنطرة) (ويمتد هذا السهل عبر شريط عرضه حوالي مئة كيلومتر من واحة القنطرة شمالاً إلى واحة الشقة جنوباً، وعبر شريط آخر بحوالي مئتي كيلومتر، من واحة خنقة سيدي ناجي في الشرق إلى واحة سيدي خالد في الغرب، ومناخ المنطقة متأثر بالصحراء، فالتساقط فيه نادر عارض، لا يكتفي في الأوقات العادية لزراعة الحبوب، غير أن المياه المنحدرة من الجبال تستعمل في ري المزروعات، كما تقوم بسقي أكثر من 511 ألف نخلة).

هذا وتتمتع المنطقة بموقع جغرافي هام ومساحة شاسعة، منحها ذلك التنوع التضاريسي، ونتج عنه اختلاف في المناخ بين المناطق، ومن ثم تنوع في الغطاء النباتي والحيواني، إذ يمكن للزائر أن يتمتع في الوقت ذاته ببرودة الطقس ومنظر الثلج في جبال (بوس) على ارتفاع 1751م، وبعين زعطوط، وبدفء الشمس ومنظر الكتبان الرملية في منخفضات شط ملغيغ المحاذية لأوماش ومن هنا كانت المنطقة وبسكرة علامة لاستقطاب الرحالة والجغرافيين، وموئلاً للشعراء وقبلة للفنانين والأدباء والمبدعين من العرب والأوروبيين، القدامى منهم والمحدثين الذين خلدوا أنفسهم بذكرها ووصفها في مدوناتهم وكتبهم وموسوعاتهم أو جادوا بقصائد كتبتها أقلامهم أو لوحات فنية أبدعتها أناملهم، على غرار الرحالة والجغرافيين الإغريق واليونان كابي التاريخ "هيرودوت" (ت 252-248 ق.م)، (صاحب كتاب التاريخ الكبير) والروماني "سالوسيتس" (ت 51-38 ق.م) مؤلف كتاب (حياة يوغارطة) وغيرهما من الأوروبيين، لاسيما بعد الاحتلال الفرنسي للمنطقة، بغض النظر عن أهداف وخلفيات هؤلاء الرحالة والكتّاب، منهم الألماني "هاينريش فون مالتسان" والفيلسوف "كارل ماركس" والكونت "لندوا" والروائي "روبار هيتشنز" الذي استوحى من جمالها رائعته جنة الله.

#### 4\_ عادات وتقاليد منطقة الزيبان:

تتمثل وتتجسد عادات وتقاليد منطقة الزيبان في سكانها حيث نجد "الأخلاق الحميدة التي يتميز بها المجتمع البسكري، ومن ذلك انعدام الاختلاط بين الرجال والنساء، فلا نصادف في الشوارع رجالاً يتحدث مع امرأة، والفتيات اللاتي بلغن سن الزواج وتلك المتزوجات لا يخرجن إلا نادراً، كما لاحظ ان النساء يلبسن الكثير من الملابس، ربما حشمة ولستر أجسادهن حيث لا يرى منهن أي شيء. كما يخبرنا على مراسيم الزواج الذي يتم حسب "وفق تقاليد غريبة"، فلا يسمح للمقبل على الزواج أن يرى خطيبته، بل أن كل شيء يتم بين الآباء، كما يمكن للشباب أن يكلف والدته لخطبة إحدى الفتيات، أو قد يطلب ذلك من إحدى العجائز مقابل هدايا ومبلغ من المال. كل هذه المظاهر شدته ولكن ما ملك عليه لبه وخياله ذلك الهدوء وتلك المناظر الساحرة، وأحس وهو يتأمل النخيل وكأنها أمواج يتابع بعضها بعضاً. وبدلاً من أن

يحدثنا عن الناس ركز عنايته عن وسائل التسلية وعلى الأمور الشكلية، ولم يحاول معرفة أعماق السكان ودخيلة نفوسهم<sup>11</sup>.

فالأخلاق الحميدة والكرم والإحترام من القيم الحميدة والعادات والتقاليد التي توجد في سلوك أفراد المجتمع البسكري وفي منطقة الزيبان، ويمكن أن نتحدث عن بعض أوجه ما هو من تقاليد وعادات المنطقة في ما يلي:

**الطبخ التقليدي:** وهو من أبرز المجالات التي تبرز فيها تقاليد المنطقة وعاداتها: كالشخوخة البسكرية والتي من العادات والتقاليد أن تقدم في صحن كبير يسمى المثرى وتقدم في إطار لمة دائرية حول المثرى، مشكلة بذلك اللحمة المجتمعية.

**الألعاب التقليدية:** وهي مجموعة من الألعاب الشعبية التي إعتاد أفراد المجتمع أن يلعبوها كالغميضة وغيرها...

**تقاليد الأعراس:** الأعراس في المنطقة تتم في طابع احتفالي كبير وولائم يطبعها الكرم الموجود في المنطقة.

**عادات وتقاليد المأتم:** سمة المأتم والجنائز في المنطقة هو بروز التآزر والتعاون والمساعدة في المنطقة والأخذ بيد أهل الميت لكي يتجاوزوا المحنة.

#### خاتمة:

مما سبق يتضح أن لولاية بسكرة ومنطقة الزيبان مقومات ومؤهلات جغرافية وتاريخية جعلت لها مكانة مهمة في تاريخ الجزائر الماضي والحاضر، ففي الماضي كانت قبطا مدافعا عن الجزائر من الاحتلال الفرنسي واليوم ها هي تمثل قطبا سياحيا بارزا من خلال عاداتها وتقاليدها وكل تراثها المادي واللامادي. التوصيات:

- ضرورة القيام بدراسات حول التراث اللامادي فجل ما هو موجود حول التراث المادي للمنطقة.
- يجب على السلطات المعنية حماية وترقية الموروث الخاص بمنطقة الزيبان.
- ضرورة القيام برحلات سياحية للمنطقة للتعريف بها.

<sup>11</sup>- بومعزة، عبد القادر، 2016م، ص. 84.

### قائمة الببليوغرافيا:

1. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دت.
2. بورايو، عبد الحميد، 2016م، "تجربتي في جمع وبحث التراث اللامادي في منطقة الزيبان"، مجلة تراث الزيبان، 1، ص ص. 01-06.
3. بومعزة، عبد القادر، 2016م، بسكرة: في عيون الرحالة الغربيين، بسكرة.
4. حمزاوي، سعيدة، 2011م، "العادات والمعتقدات في الأغنية الشعبية الأوراسية: قراءة في المضمون والوظيفة"، مجلة الأثر، 10، ص ص. 320-331.
5. ذياب، هشام، 2014م، محمد المكي بن عزوز: حياته، مواقفه واثاره، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.
6. عدنان ابو مصلح، 2006م، معجم علم الاجتماع، الاردن، ط. 1.
7. فاروق احمد مصطفى؛ مرفت العشماوي عثمان، 2008م، دراسات في التراث الشعبي، الاسكندرية.
8. كحول، عباس، 2013م، زوايا الزيبان العزوية، بسكرة.
9. مجمد الجوهري، 1988م، علم الفولكلور: دراسات في الأنثروبولوجيا الثقافية، الإسكندرية.
10. مياشي، ابراهيم، 2001م، "إحتلال بسكرة 1844م عبر التاريخ"، المجلة الخلدونية، 2، ص. 43.